النخب الإصلاحية في المغرب العربي بين فكر الجامعة الإسلامية والفكر القومي العربي
عبد العزيز الثعالبي وعبد الحميد بن باديس - أنموذجا-

The reformist elites in the Arab Maghreb between the ideology of the Islamic league and the Arabic nationalism ideology

امحمد يزيـــــــر *
جامعة عمار ثليجي- الأغواط
عضو بمخبر الدراسات الإسلامية واللغوية. الأغواط
الإيميل:yazirmed@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/02/20 تاريخ القبول: 2020/11/26 تاريخ النشر: 01/16 /2021

ملخص:

ظهرت فكرة الجامعة الإسلامية كحركة فكرية دينية بداية القرن التاسع عشر تعود بالمجتمعات الإسلامية لمنابع الدين القويم وتكون حصنا منيعا أمام التهديدات الأجنبية التي استهدفت الدولة العثمانية، وظهرت القومية العر بية في نفس الفترة الزمنية والدعوة إليها عبر العديد من الجمعيات السرية والعلنية تصدرها مسيحيو العرب في المشرق العربي كرد فعل عن سياسة التتريك التي فرضها الإتحاد والترقي بعد سيطرته على نظام الحكم في الدولة العثمانية وظهور القوميات الأخرى، والظلم ا لمسلط على العرب في بعض الأقطار العربية فاعتبرت بذلك دولة احتلال. أما في المغرب العربي عموما (شمال إفريقيا) فلم تفرق النخب الإصلاحية خاصة بين القومية العربية والإسلام، فعبد العزيز الثعالبي في تونس دعى في بداية حياته السياسية والفكرية إلى الجامعة الإ سلامية لكنه انصرف عنها إلى الدعوة للقومية العربية بعد الحرب العالمية الأولى وسقوط الخلافة سنة1924 م ، أما الشيخ عبد الحميد بن باديس فقد جمع بين القومية العربية والإسلام وفق شعار« الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا».

الكلمات المفتاحية: المغ رب العربي ، الجامعة الإسلامية ، القومية العربية ، الجمعيات القومية ، الدولة العثمانية النخب الإصلاحية، عبد الحميد بن باديس، عبد العزيز الثعالبي .

* امحمد يزير : yazirmed@gmail.com

Abstract :

The idea of Islamic foundation appeared as an intellectual religions movement at the beginning of the 19th centry, that relates Islamic societies to rightions religion sowces,and forms a solid stronghold to wards foreigh threats that targeted othoman state, in the some time appeared the Arabic nationalism call through many both secret and overt associations headed by Christian arabs in the Arabic mashrek as a reaction of imposed turanisem policy by the etihad and taraqui association after its hold of power in the ottoman starte, and appearance of other nationalisms and the oppression against arabs in some Arabic regions, hence it was considered as an occupation. in the Arabic Maghreb (North Africa) the reformist elite did not make any difference between arabic nationalism and islam. Abdul-Aziz althaalibi in Tunisia called to Islamic fondation in the bigining of his political and intellectuallife,but after the 1st world war and the collapse of caliphate in 1924,he turned to Arabic nationalism. as for Abdelhamid benbadis who called to both arabic and islam according to his eternal statement « Arabic is our language ,islam is our religion, and Algeria is our contry ».

Key words: Arabic Maghreb; islamic foundation; arabic nationalism; national societies; ottoman state; reformist elites; abdelhamid ben badis; Abdul-Aziz al thaalibi .

مقدمة :

تعرضت أقطار المغرب العربي للاستعمار الأوربي الحديث ممثلا في الاحتلال الفرنسي لكل من الجزائر 1830م وتونس 1881 م كونهما إيالتين عثمانيتين وذلك في إطار تقسيم تركة الرجل المريض حيث تكالبت عليها الدول الاستعمارية والعمل على إضعافها بكل الوسائل، ومع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ظهرت فكرة الجامعة الإسلامية كحركة تأييد للخلافة، والقومية العربية كحركة استقلال في المشرق العربي عن الدولة العثمانية. وفي زخم هذه الأحداث التاريخية كانت في كل من الجزائر وتونس شخصيات سياسية وثقافية ودينية فاعلة تأثرت وأثرت بتلك الأفكار من بينهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي في تونس والشيخ عبد الحميد ابن باديس في الجزائر.فما هي ظروف نشأة وانتقال فكر الجامعة الإسلامية والفكر القومي العربي من المشرق إلى المغرب؟ وما هي نظرة كل من عبد العزيز الثعالبي وعبد الحميد بن باديس إليهما؟

أولا: ظروف نشأة الجامعة الإسلامية : قبل التعرض إلى أهم الأحداث والظروف التي ظهرت فيها الجامعة الإسلامية لابد من تحديد مفهومها

أ- مفهوم الجامعة الإسلامية : هي ذلك التيار الفكري والسياسي الذي أبصر قادته وأنصاره أن هناك عدد من التحديات التي تواجه الفكر الإسلامي شعوبا وأمما، سواء أكانت تلك التحديات من داخل الأوطان الإسلامية كالتخلف الفكري والروحي والانحدار الحضاري والسياسي والصراعات الإقليمية

والقبلية أو آتية من الخارج في شكل المد الاستعماري والإمبريالي الذي زحف من أوروبا على الشرق خاصة في القرن التاسع عشر. (عمارة، الجامعة الإسلامية والفكرة القومية، 1994، صفحة 50)

الأمر الذي أدى برجال الإصلاح في العالم العربي والإسلامي إلى ضرورة الوحدة والتضامن بين الشعوب لصد هذا الاستعمار وتحرير البلدان التي تعرضت له من الاستغلال.

كما نشير إلى أن الجامعة الاسلامية قد حملت عدة مفاهيم منها :الوحدة الإسلامية،الاتحاد الإسلامي ، والتضامن الإسلامي ،والأخوة الإسلامية ،والجامعة العثمانية ،والجامعة الشرقية وغيرها من المفاهيم ذات الدلالة على مقصود الواحد .

أما الجامعة الاسلامية من منظور سياسي فقد تبنى السلطان عبد الحميد الثاني هذا المشروع عند توليه مقاليد حكم الدولة العثمانية سنة 1876 م وأعطاها غطاءا سياسيا تنشط في إطاره وجعل منها سياسة رسمية للدولة وهو ما سمي بالجامعة الإسلامية الرسمية. وكان هدفه من ذلك جمع كلمة المسلمين ،مركزا على العنصر العربي بغية إضفاء الشرعية على حكمه من جهة ومواجهة خصومه والخطر الأجنبي من جهة أخرى. (دراوي، (2007-2008)، صفحة 29)

ب- تيارات الجامعة الإسلامية: عرفت الجامعة الإسلامية في صفوفها عدة تيارات تمايزت واختلفت مواقفها الفكرية والعملية حول المشاكل التي عانى منها المسلمون بحكم تعدد المواطن واختلاف ردود الفعل الاجتماعية والفكرية للرواد الذين رفعوا هذا الشعار. (الكيالي، صفحة 18)

وحقيقة الأمر أن العالم الإسلامي كان يموج منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي بحركات دينية قوية جاءت كرد فعل على حركة الاستغراب في الشرق وكرد فعل على اعتداءات الدول الأوربية على بعض أجزاء العالم الإسلامي ومن هذه الحركات الحركة السلفية في شبه الجزيرة العربية (محمد بن عبد الوهاب) ، والحركة السنوسية في شمال إفريقيا والمهدية في السودان إضافة إلى حركة الإمام الشوكاني في اليمن وجمال الدين الأفغاني. (ياغي، 1998، صفحة 198)

1- الحركة الوهابية: تعتبر الحركة الوهابية كأقدم تيار فكري وسياسي يمكن أن يندرج تحت شعار الجامعة الإسلامية في العصر الحديث فهي حركة ترمي إلى تجديد شباب الإسلام والمسلمين عن طريق طرح ركام البدع والخرافات التي دخلت في عقائد المسلمين وهي التي كانت تكون الجزء الأساسي من السلطة العثمانية ومؤسساتها عن عقائد الإسلام. (عمارة، الجامعة الإسلامية والفكرة القومية، 1994، صفحة 51)

2- حركة الإمام الشوكاني (1759-1834م): يعتبره البعض أوسع علما من الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي ويدللون على ذلك بمصنفاته الغزيرة ومادتها الجيدة، كان يدعو إلى فتح باب الاجتهاد، كما أنه كان عميق الفهم بالعقيدة وفقيها ومحدثا بارعا، إلا أن أثره ظل محدودا في إطار اليمن وبفضل هذه الدعوة أمكن لليمن الشمالي بزعامة الإمام يحي أن يستمر على ولائه للدولة العثمانية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وزوال الخلافة العثمانية وهو مظهر إيجابي يقدم دليلا على صدق الارتباط بالخلافة الإسلامية. (بني المرجة، 1984، صفحة 359)

3-الحركة السنوسية: أسسها الشيخ الجزائري محمد بن علي السنوسي (1787-1859م) في المغرب العربي، حيث انتقل إلى المشرق أين تأثر بالحركة الإصلاحية هناك فأسس طريقته السنوسية وهي امتداد للحركة الوهابية في (المغرب العربي) ، وقد تميزت بطابعها الصوفي ورفعت شعار الجامعة الإسلامية.

4- الحركة الإسماعيلية الحديثة: عملت تحت شعار الجامعة الإسلامية وكان من أبرز قادتها آغا خان (1877-1957م) وقد قال عن هذه الجامعة ".. أن هناك جامعة إسلامية حقة صريحة ينظم إلى لوائها كل مسلم مؤمن مخلص أعني بذلك الرابطة الروحانية الوجدانية والوحدة الجامعة بين أتباع صاحب الرسالة الإسلامية فهذه الوحدة الإسلامية الر وحانية التهذيبية يجب أن تتعهد فتنمو أبدا، لأنها عند أتباع النبي أسمى الحياة وجوهر النفس.". (عمارة، الجامعة الإسلامية والفكرة القومية، 1994، صفحة 52)

5- الجامعة الإسلامية: من أبرز التيارات لفكرة الجامعة الإسلامية كانت على يد السيد جمال الدين الأفغاني حيث ساعد على انتشار هذه الفكرة فكان يدعو إلى العمل المتواصل لتخليص العالم الإسلامية من السيطرة الأجنبية وتحسين حال الأمة الإسلامية فقد اتصل بمعظم الحكام المسلمين يدعوهم لنبذ خلافاتهم، ولما يئس من إمكانية إصلاحهم اتجه إلى الأمة الإسلامية يهيبهم إلى الخطر الاستعماري فالتف حوله العديد من الناس بعد أن اقتنعوا بآرائه ويعتبر المؤرخون حركة الأفغاني امتدادا للحركة الوهابية، حيث ركز فيها على:

- تجديد الإسلام بتخليصه من البدع والخرافات الدخيلة والعودة إلى القرآن والسنة.
- إيقاظ الأمة الإسلامية والرفع بها إلى مستوى الأمم وإصلاح أحوالها.
- اتحاد الأقطار تحت سلطة الخلافة الإسلامية للوقوف الأخطار الخارجية والتحرر من السيطرة الأجنبية.
- الأخذ بأسباب التقدم والاعتماد على التعليم وأساليب العلم الحديث. (الخطيب، 1989، صفحة 140)

6- **الجامعة الإسلامية الجديدة:** على غرار تيارات الجامعة الإسلامية التي تم ذكرها أكد شارل أندري جوليان أن هناك تيارا جديدا هو تيار الجامعة الإسلامية الحديثة والتي تعد فيها باكستان قطب الرحى، وتختلف عن الجامعة الإسلامية بمفهوميها العربي والتركي،حيث قال: «.. لكن هناك أمة إسلامية جديدة هي أعظم الأمم الإسلامية في العالم وهي الباكستان قد نشأت وهي لا تنسب إلى على الإسلام دون العروبة فسيضاف إلى فكرة الجامعة العربية ولربما عارضها شكل آخر من التضامن قد يعبر عنه بالجامعة الإسلامية الجديدة لتميزها عن الجامعة الإسلامية الموالية للأتراك ولا تكون العروبة فيها إلا إقليما يفقد وجوده شيئا فشيئا..». (جوليان، 1976، صفحة 440)

ويرى شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله أن الجزائر كانت أول من نادى بالتضامن بين المسلمين وبإصلاح الإسلام مستفيدين من التجربة الأوروبية وبقيادة جديدة في العالم الإسلامي فقد كان حمدان خوجة الجزائري أول من نادى بالتفاهم بين الحضارتين الإسلامية والأوربية ...كما برهن الأمير عبد القادر كمحارب ومفكر أنه كان مصلحا إسلاميا في توجهاته. (سعدالله، 2009، صفحة 110)

كما أشار إلى أن هناك جامعة إسلامية جزائرية قد واجهتها عدة عراقيل:

- أولها أن هذه الحركة قد اضطرت في معظم الأحيان إلى أن تقوم بنشاطها في الخارج وبذلك اختلطت المساهمة الجزائرية بالجامعة الإسلامية الشرقية في شكلها العام.
- ثانيها هو عدم توفر الحرية في الجزائر حيث اضطهد الفرنسيون عواطف الجامعة الإسلامية في الجزائر واضطروها إلى استعمال التعبير غير المباشر خاصة الشعر الشعبي بالمقارنة مع حرية التعبير ووسائله في المشرق العربي.
- أما ثالثها فهو عدم التأييد والدعاية لفكرة الجامعة الإسلامية في الجزائر من أي أمة أوربية فالكتاب كانوا يتنا ولون الجزائر على أنها جزء لا يتجزأ من فرنسا. (سعدالله، 2009، صفحة 111).

جـ/ - منافذ فكر الجامعة الإسلامية إلى المغرب العربي (شمال إفريقيا):

من خلال تتبع تيار الجامعة الإسلامية يربط البعض بين الحركة الوهابية وبين الجامعة الإسلامية التي تبناها جمال الد ين الأفغاني الذي يعتبر أحد المتأثرين بالشيخ محمد بن عبد الوهاب عن طريق الحج، كما كان لجمال الدين الأفغاني تلميذان وضحت فيهما دعوة الشيخ محمد بن الوهاب فكانا واسطتها للجزائر وهما الشيخ محمد عبده (1849- 1905) م والشيخ محمد رشيد رضا (1865-1935)م حيث استطاعت هذه المدرسة الأفغانية أن تحمل دعوة الإصلاح السلفي إلى الجزائر والعالم الإسلامي. (العويسي، 1985، صفحة 17)

وقد كانت مجلة "العروة الوثقى" ثم مجلة "المنار" من أكبر المجلات المدافعة عن اتجاه العودة إلى الإسلام الصحيح وقد أتيح لهما من الانتشار ما لم يتح لغيرهما خاصة "المنار"التي دخلت الجزائر منذ سنتها الأولى ثم إلى بقية الشمال الإفريقي. (العويسي، 1985، صفحة 18)

زيارة الشيخ محمد عبده إلى كل من تونس والجزائر حيث كانت زيارته الأولى إلى تونس في الفترة الممتدة من 06 ديسمبر 1884م إلى غاية 04 جانفي 1885 م، أما الثانية فكانت في الفترة الممتدة من 09 إلى 24 سبتمبر 1903م مباشرة بعد أن عرج على الجزائر (الشنوفي، 1966، صفحة 71)، وما تركته هذه الزيارة من آثار على الساحة السياسية والاجتماعية والثقافية خاصة في تونس، أما الجزائر فيؤكد بعض المؤرخين أن الشيخ محمد عبده شخصيا عند زيارته لم يؤثر كثيرا على الجزائريين لكن أفكاره عن الإصلاح الديني والقومية الإسلامية كانت معروفة في القطر الجزائري عن طريق الجرائد والكتب الشرقية التي تصل الجزائر عن طريق تونس. (بن العقون، 1984، صفحة 58)

ثانيا: ظروف نشأة الجمعيات القومية العربية : يعود ظهور اليقظة الفكرية للقومية العربية إلى منتصف القرن 19 وبداية القرن 20 على شكل نواد وجمعيات أدبية وعلمية وسياسية عربية بهذا الترتيب، فكانت بداية ذات صبغة أدبية وانتهت مع مرور الوقت إلى حركات وأحزاب سياسية نتيجة بروز وتصاعد الأفكار القومية في العالم، وبشكل خاص في الدولة العثمانية حيث كان الاستبداد والظلم وضرورة الإصلاح في الأقاليم العربية خاصة فانتشر الوعي القومي العربي داعيا إلى الاهتمام باللغة العربية والمساواة بين الأقاليم العربية التي كانت تحت الحكم العثماني.

فكانت الجمعية (العربية الفتاة) هي المقابل العربي لجمعية (تركيا الفتاة) لكنها رغم تشابه الظروف في النشأة وطبيعة النشاط والأهداف ومع وفرة وزيادة الطاقات العربية على التركية أخفقت في الوصول إلى نفس النتائج التي حققتها رديفتها التركية رغم أن أفرادها أصابوا حظا كبيرا من التنعم بالحكم والمناصب في معظم البلدان العربية ، ومثلما أفرزت (تركيا الفتاة) حزب الاتحاد والترقي وغيره من الجمعيات (الطورانية) المدنية والعسكرية، كذلك فإن (العربية الفتاة) أفرزت حزب "الاستقلال" وحزب " اللامركزية" فضلا عن "جمعية العهد" و"المنتدى الأدبي" وغيرها من الجمعيات العربية السرية والعلنية . (بني المرجة، 1984، صفحة 310)

أ/ مفهوم القومية العربية: لقد ورد في تحديد مفهوم القومية العربية عدة تعاريف نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر التعريف الذي ورد في "الكتاب الأحمر" كتاب القومية العربية ، هذا التعريف مفاده «أن القومية العربية هي مجموعة الصفات والمميزات والخصائص والإرادات التي ألفت مابين العرب كونهم أمة : كوحدة الوطن واللغة والثقافة والتاريخ والمطامح والآلام والجهاد المستمر والمصلحة المادية والمعنوية المشتركة، والقومية العربية هي محل تقديس وفخار عند العرب لأنم بها تميزوا عن سائر الأمم وامتازوا عليها خلال العصور وبها نهض مجدهم الحاضر وكفل لنفسه النمو والبقاء إلى الأبد ». (حجا، 2004، صفحة 383،384)

ب/ عوامل ومقومات القومية العربية: للقومية العربية **عوامل** تأثرت بها ومقومات أساسية قامت عليها نذكرها في مايلي:

- استعارة الأفكار والنظم الغربية: كان ذلك تقليدا للأوربيين في شعارات عصر نهضتهم، وكما هو معلوم أن القرن 18 م عرف عندهم بعض القوميات فسرت الدعوة القومية إلى العرب والمسلمين في عصر التفوق الأوربي وفي عصر التقليد عند المسلمين للأوربيين وبذلك بقيت الدعوة إلى القومية محصورة في بدايتها عند الذين تلقوا تعليمهم على يد الإرساليات وفي مدارسها وجامعاتها التعليمية وكانوا في أغلبهم نصرى. (زرزور، 1999، صفحة 47)

-مجارات ومسايرة القومية الطورانية: لقد تبنى أعضاء جمعية الاتحاد والترقي بعد أن أحكموا قبضتهم على الدولة العثمانية - بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1909م- سياسة التتريك ومحاولة فرض اللغة التركية على معظم شعوب الدولة العثمانية ومحاولة صبغها بالثقافة التركية ولأن ذلك يعد غير ممكن ومستحيل وبالتالي فهو مبرر للشعوب المكونة للدولة في المطالبة بقوميتها وانفصالها عن الدولة ومن بين هذه الشعوب العرب الذين بدأو بالمطالبة بقوميتهم وانفصالهم خاصة وأن أغلب الأعضاء المؤسسين لهذا الاتحاد هم من يهود الدونمة الذين عاشوا في مدينة سالونيك المعروفين بعدائهم للإسلام والمسلمين فكانوا سببا في إسقاط الخلافة. (زرزور، 1999، صفحة 50،51)

أما عن **المقومات** فلا شك أن للقومية العربية عدة روابط ومقومات تقوم عليها يمكن حصرها في ما يلي:

- وحدة اللغة والثقافة: حيث تعتبر اللغة العربية الفصحى من أهم المقومات لأنها لغة جميع العرب في مختلف المجالات كالثقافة والأدب والتعليم والصحافة، وحتى وإن اختلفت لهجاتهم في مختلف الأقطار. (رضوان، 1969، صفحة 183)

- وحدة التاريخ: يعتبر التاريخ سلسلة طويلة من التفاعلات الكثيرة والمتشابكة التي حدثت في الجماعات البشرية على مر الأجيال وأعطتها اللغة والثقافة والعادات والتقاليد الواحدة، ولدت لديها المصالح والأهداف الواحدة والشعور القومي الواحد. (الجبوري، 1993، صفحة 323)

- وحدة الكفاح: جمع العرب عبر تاريخهم الطويل بين ألوان متعددة من الكفاح تعبيرا عن التماسك الاجتماعي فقد كافح العرب على مستوى الطبيعة القاسية خلقا للقوة وتطويعا للنفس لمقتضيات الاجتماع ولصد المستعمر عن الوطن. (رضوان، 1969، صفحة 189)

- وحدة الوطن: الطبيعة الجغرافية للوطن العربي كانت عاملا هاما في تكوين شخصية القومية العربية، فالمناخ والتربة وكمية الأمطار وخصب الأرض وجدبها كلها أمور تؤثر في طبيعة السكان ومزاجهم وعقليتهم ونوع معيشتهم وعاداتهم . (الجبوري، 1993، صفحة 329)

- وحدة القيم الروحية: مصدر هذه القيم هو الدين ومن حظ العرب أن الأديان السماوية كلها ظهرت في وطنهم وعلى أنبياء عاشوا بينهم فاستفادوا من القيم الروحية لهذه الأديان. (رضوان، 1969، صفحة 190)

- وحدة المفاهيم الاجتماعية والاقتصادية: تعيش الأمة العربية على نظام واحد من القيم والمثل العليا والعادات الاجتماعية والتقاليد والنظر إلى المسائل السياسية والاجتماعية كالدولة والقانون والأسرة والمرأة ونظام الحياة وعلاقات الأفراد والمسائل الاقتصادية كالتجارة والصناعة والربا والضرائب وغيرها. (رضوان، 1969، صفحة 192)

جـ- جمعيات القومية العربية:

يمكن التمييز بين جمعيات القومية العربية في الفترتين التاليتين:

1- الجمعيات العربية في الفترة (1875-1907)م: ظهرت في هذه الفترة عدة مجالس أدبية وجمعيات ثقافية في بلاد الشام ومصر أدت إلى ظهور العديد من التنظيمات السياسية المحلية ذات طابع قومي وأهداف تشجع على الخطابة والأدب وتهذيب الناشئة وإحياء التراث ظاهرا مع إخفاء أهداف قومية غير معلنة. (نصيرات، الصفحات 24-26)

2- الجمعيات العلنية والسرية في العهد الدستوري(1908-1918)م: وهي الجمعيات التي تم تأسيسها بعد إصدار السلطان عبدالحميد الثاني إعادة الدستور بتاريخ 1908م وخلال هذه الفترة تم الانقلاب عليه لينتقل الحكم إلى جمعية الاتحاد والترقي وتسقط الدولة العثمانية وتتحول إلى الجمهورية التركية من طرف مصطفى كمال أتاتورك سنة 1924م، وتعد هذه المرحلة من أخصب الفترات في تأسيس الجمعيات القومية. (خالد بن إبراهيم بن عبد الله الدبيان، 1419هـ، صفحة 57)

دا القومية العربية في المغرب العربي: لم يشهد المغرب العربي التحولات التي شهدها المشرق العربي في ما يتعلق بالجامعة الإسلامية و القومية العربية وذلك لأنه لم يشهد التحول الذي أصاب سياسة الحكم العثماني من الإسلامية إلى التركية (التتريك) ، كما لم يشهد الأقليات والطوائف الدينية والمذهبية خاصة المسيحية، ونظام الامتيازات الذي كان في المشرق العربي، فلم تظهر به جمعيات قومية في تلك الفترة خاصة ولأن أغلبها كان سريا، أما عن مظاهر التأثر والتأثير الذي كان فهو ناتج عن هجرة العلماء ذهابا وإيابا وعن الصحافة وغيرها من وسائل نشر الوعي رغم التضييق الاستعماري الفرنسي،كما أن مفهوم العرب والإسلام أو العروبة والإسلام مفهوم واحد عند سكان المغرب العربي. (زرزور، 1999، صفحة 53)

ثالثا: الجامعة الإسلامية والقومية العربية في فكر عبد الحميد بن باديس:

تعود البوادر الأولى للحركة الإصلاحية في الجزائر إلى الجهود التي بذلها العلماء إيمانا منهم بضرورة مقاومة المستعمر وإجلائه من البلاد ولا يتأتى ذلك إلا بنشر الوعي السياسي والديني بين الجزائريين لأن تعبئة الفرد الجزائري في مختلف الميادين يعد أرضية صلبة لانطلاق المعركة النضالية، فعمل الزعماء السياسيون والعلماء المصلحون لتحديد المواقف من السياسة الاستعمارية في الجزائر وكشف فظائعها

وإعلام الرأي العام بالمظالم والاضطهاد والتنديد بالانتهاكات والجرائم المرتكبة في حق المواطنين. (رمضان، 1998، صفحة 19)

ومن الجهود الإصلاحية التي سبقت دعوة بن باديس الإصلاحية نذكر على سبيل المثال لا الحصر الشيخ عبد القادر المجاوي (1848-1914)م الذي يعد أحد رجال الإصلاح الذين حاربوا البدع والخرافات وعاش للعلم والتعلم وتخرج على يديه كثيرون منهم الشيخ حمدان لونيسي أستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس والذي أثنى عليه كثيرا في فترة تعلميه، ومنهم أيضا الشيخ مصطفي بن الخوجة الذي تأثر بالأفكار الإصلاحية التي انتقلت إلى الجزائر عن طريق الجرائد والمجلات وعن طريق زيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر، كما يعد من أتباعه وممثلي مدرسته في الجزائر (رمضان، 1998، صفحة 22) ، ومنهم أيضا الشيخ عبد الحليم بن سماية مضيف الشيخ محمد عبده عند زيارته إلى الجزائر،كان مشهورا بشجاعته النادرة في إبداء الرأي وقول الحق مهما كان الموقف كما يعد من القلائل الذين نشروا الفكر السلفي في الجزائر عن طريق التدريس الذي أفاد به جيلا من طلاب العلم... إضافة إلى كل من الشيخين عمر بن قدور وعمر الراسم ودورهما في إتباع الإصلاح الإسلامي من خلال جريدتي (الفاروق) و (ذو الفقار) حيث أبديا تأثرا وحرصا على أفكار محمد عبد وجمال الدين الأفغاني ويعد هؤلاء وغيرهم من علماء الجزائر ممن يمكن اعتبارهم النواة التي مهدت الطريق للحركة الإصلاحية في الجزائر والتي اكتمل بنيانها في بداية العقد الثالث من القرن العشرين فكانت منطلقات صلبة لنشاطات و مجهودات الشيخ عبد الحميد بن باديس. (رمضان، 1998، صفحة 23)

هذه النشاطات والمجهودات جعلت من الشيخ عبد الحميد بن باديس وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين يمثل الجناح المغربي للجامعة الإسلامية الذي وقف ضد السياسة الاستعمارية الفرنسية القائمة على السحق القومي و القهر الحضاري وفرنسة المجتمع كي يصبح الامتداد الفرنسي عبر البحر الأبيض المتوسط وكان من سمات هذه السياسة الاستعمارية ما يلي:

- إحلال الفرنسية محل العربية حتى يكون الجزائريون فرنسيين ولأن عهد الصليب قد بدأ،وأنه سيستمر إلى الأبد.
- السعي إلى جعل الجزائر مهجرا للرجل الأبيض حتى يصنع بالعنصر الوطني ما صنع بالهنود الحمر. (عمارة، القومية العربية والاسلام، 1981، صفحة 156)

وأمام هذه السياسة والمأساة كان في مواجهتها نضال التيار التجديدي- الذي قاده الشيخ عبد الحميد بن باديس ممثل الجامعة الإسلامية في المغرب العربي كما ذكرنا آنفا ، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين- مبنيا على امتزاج العروبة بالإسلام. (عمارة، القومية العربية والاسلام، 1981، صفحة 157)

وقد تحدث عن الخلافة وظروف سقوطها بقوله : « فيوم ألغى الأتراك الخلافة- ولسنا نبرر كل أعمالهم لم يلغوا الخلافة الإسلامية بمعناها الإسلامي وإنما ألغوا نظاما حكوميا خاصا بهم وأزالوا رمزا خياليا فتن به المسلمون لغير جدوى حاربتهم من أجله الدول الغربية المتعصبة للصرانية والمتخوفة من شبح الإسلام » . (إبن باديس، «الخلافة أم جماعة المسلمين»، 1357هـ/1938م، الصفحات 61-63)

كما تطرق إلى مصطفى كمال أتاتورك الذي يصفه بأنه أعظم رجل عرفته البشرية في التاريخ الحديث وعبقري من عباقرة الشرق وذلك لأنه يعده بطل غاليبولي الذي قهر فيها الإنجليز وبطل سقاريا بعد الحرب العالمية الاولى رغم أنه المتسبب في سقوط الخلافة التي يرى إبن باديس أنها زائفة. (إبن باديس، «مصطفى كمال رحمه الله»، 1357هـ/1938م، الصفحات 130-134)

وقد تبنى الشيخ عبد الحميد بن باديس ومن خلاله جمعية العلماء المسلمين الجزائريين شعارا جامعا بين الوطنية والعروبة والإسلام وهو شعار « الإسلام ديننا والعربية لغتنا و الجزائر وطننا » وقد تركزت أهداف الجمعية في إيقاظ الوعي الوطني العربي والإسلامي بين فئات الشعب الجزائري وذلك بتثقيفه بلغته الأصلية وبشرح مبادئ الفكر القومي العربي وذلك لإحباط سياسات الفرنسة، وقامت هذه الجمعية بنشاط علمي متميز في نشر التعليم العربي عن طريق تأسيس المدارس في مواجهة المدارس الفرنسية السائدة في أنحاء البلاد. (أحمد، 1986، صفحة 72)

أما عن العروبة أكد أنه « تكاد لا تخلص أمة من الأمم لعرق وا حد وتكاد لا تكون أمة من الأمم لا تتكلم بلسان واحد فليس الذي يكون الأمة ويربط أجزاءها ويوحد شعورها ويوجهها إلى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة وإنما الذي يفعل ذلك هو تكلمها بلسان واحد...» وقد أعطى الشيخ عبد الحميد بن باديس مثلا يتضح به المقال ويحصل به الفهم فقال: «.. ولو وضعت أخوين شقيقين يتكلم كل منهما بلسان وشاهدت ما بينهما من اختلاف نظر وتباين قصد وتباعد تفكير،ثم وضعت شاميا وجزائريا مثلا ينطقان بالعربي ورأيت ما بينهما من اتحاد وتقارب في ذلك،كلو فعلت هذا لأدركت بالمشاهدة الفرق العظيم بين الدم واللغة في توحيد الأمم . (طالبي، 1997، صفحة 20)

أما عن الرابطة بين العروبة والإسلام فقد ارتجل الشيخ عبد الحميد بن باديس في الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين بنادي الترقي بالعاصمة بقوله: « حق على كل من يدين بالإسلام ويهتدي بالقرآن أن يعتني بتاريخ العرب ومدنيتهم وما كان من دولهم وخصائصهم قبل الإسلام ذلك لارتباط تاريخهم بتاريخ الإسلام ولعناية القرآن بهم ولاختيار الله لهم لتبليغ دين الإسلام وما فيه من آداب وحكم وفضائل إلى أمم الأرض فأنهم قد ارتبط تاريخهم بتاريخ الإسلام فإن العرب قد هيئوا تاريخيا لأجل أن ينهضوا بأعباء هذه الرسالة الإسلامية العالمية، ولأن الله الحكم العدل الذي يضع الأشياء في مواضعها بحكمة ويأمرنا أن ننزل الناس منازلهم في شريعته، ما كان ليجعل هذه الرسالة العظيمة لغير أمة

عظيمة إذ لا ينهض بالجليل من الأعمال إلا الجليل من الأمم والرجال ولا يقوم بالعظائم إلا العظام من الناس. (طالبي، 1997، صفحة 59)

وفي الوقت الذي يقوم فيه البعض بإسقاط الدين كمقوم أساسي من مقومات القومية العربية الواحدة (البزاز، 1962، صفحة 223ومابعدها) يرى الشيخ عبد الحميد بن باديس إسقاط العامل العرقي في المعادلة القومية إلا أنه يفوقهم في التأكيد على عنصر العقيدة الإسلامية التي كانت أساس تلك القومية في نظره ويدل على ذلك قوله: « وأي افتراق يبقى إن اتحد الفؤاد واتحد اللسان » فسبق ذكر الفؤاد وهو الروح والعقيدة وأخر ذكر اللسان وهو اللغة، والإمام هنا في غاية المنطق والواقعية مع التاريخ وعلم الهوية والقومية، فالعربي هو من كان قلبه مفعما بالإسلام ولسانه ناطقا بالعربية . (بن نعمان، 2010، صفحة 57).

وقد ذكر الشيخ عبد الحميد بن باديس أركان ومقومات القومية عنده بقوله : « تختلف الشعوب بمقوماتها ومميزاتها كما تختلف الأفراد ولا بقاء لشعب إلا ببقاء مقوماته ومميزاته كالشأن في الأفراد فالجنسية القومية هي مجموع تلك المميزات والمقومات ،وهذه المقومات والمميزات هي اللغة التي يعرب بها ويتأدب بآدابها والعقيدة التي يبني حياته على أساسها والذكريات التاريخية التي يعيش عليها وينظر لمستقبله من خلالها والشعور المشترك بينه وبين من يشاركه في هذه المقومات والمميزات » (إبن باديس، «الجنسية القومية والجنسية السياسية»، 1355هـ/1937م، الصفحات 504-506)

كما أن الشيخ عبد الحميد بن باديس وأصحابه يعلنون بالصوت العالي انتسابهم للأمة العربية ولم يكونوا يشعرون بأنهم يشاطرون إخوانهم العرب نفس الأحاسيس والأفكار فحسب بل كانوا يسعون أيضا إلى تعزيز وحدة الشعوب من خلال ربط صلات وعلاقات وثيقة ومراسلات مع شخصيات سياسية وأدبية مشهورين بتفانيهم للقضية العربية من أمثال شكيب أرسلان ومفتي القدس الأمين الحسيني. (مراد, علي، 2007، صفحة 441).

أما عن الوحدة العربية فهو يرى أنها من المنظور السياسي لا تكون إلا بين الشعوب التي تسوس نفسها وعليه يرى عدم الوحدة السياسية بين الشعوب العربية المغلوب على أمرها(المستعمرة). (إبن باديس، «الوحدة العربية»، 1356هـ/1938م، صفحة 472)

رابعا: الجامعة الإسلامية والقومية العربية في فكر الشيخ عبد العزيز الثعالبي:

تراوح فكر الشيخ عبد العزيز الثعالبي كغيره من العلماء والمفكرين بين فكر الجامعة الإسلامية وبين الفكر القومي العربي.

أ- الجامعة الإسلامية في فكر الشيخ عبد العزيز الثعالبي:

ولد الشيخ عبد العزيز الثعالبي بتونس الخضراء 14 شعبان 1293هـ الموافق ل 1876م، نشأ وتعلم في كنف جده عبد الرحمن الثعالبي القاضي الذي رفض العمل تحت راية المستعمر الفرنسي الذي احتل الجزائر سنة 1830م فهاجر إلى تونس وقد ورث عنه عبد العزيز أخلاقا عالية ومبادئ سامية فحفظ القرآن بكتاب حومة الأندلس ودرس النحو والعقائد والأدب ودخل مدرسة باب السويقة الابتدائية في تونس حاصلا على شهادة التطويع وأخذ يتردد على المدرسة الخلدونية. (الجندي، 1984، صفحة 10)

ومن أبرز أساتذته وشيوخه أبو النهضة "البشير صفر" والشيخ "سالم بوحاجب" كتب في عدة مجلات منها جريدتي "المبشر" و"المنتظر" وبعد تعطيلهما أصدر جريدته الأسبوعية سبيل الرشاد التي لم يصدر منها إلا تسعة أعداد كان أولها بتاريخ 16ديسمبر1895م حيث أظهر فيها دعواه إلى الإصلاح غير أن هذه الجريدة لم تعمر طويلا حق تم تعطيلها بعد سنة من إنشائها (محفوظ، 1994، صفحة 213) فا ضطر إلى الارتحال إلى المشرق العربي فتعرف على الشيخ محمد عبدو بالقاهرة وعاد إلى تونس سنة 1902م متأثرا بدعوة الشيخ الإصلاحية فأحاطت به هالة من أهل العلم والأدب كانت ألزم له من ظله ولكن المحافظين كانوا له بالمرصاد وبدأو يلتقطون من كلامه سقطات في مسائل الخلاف بين الصحابة والأولياء والكرامات ويشيعونها على وجهها أو على غير وجهها مما أدى إلى محاكمته فيما بعد. (إبن عاشور، 1961، صفحة 44)

بدأ التوجه الإسلامي الوحدوي panislanisme يرسخ منذ سنة 1895م في فكر الشيخ عبد العزيز الثعالبي من خلال جريدته "سبيل الرشاد" المذكورة آنفا ثم نما هذا التوجه مع الأيام خاصة بعد رحلته الى المشرق سنة 1896م، ثم جريدة " الإتحاد الإسلامي" سنة 1911م وبعد عودته إلى تركيا منفيا سنة 1912م وعند إرساله كممثل للملك فيصل الأول بن الشريف حسين بغداد ممثلا للعراق في مؤتمر الخلافة المقام في القاهرة سنة 1926م . (خالد، 2001، صفحة 50)

كما ظهر هذا التوجه الوحدوي الإسلامي عند الثعالبي يوم أن أعلنت إيطاليا الحرب على تركيا في 29 سبتمبر 1911م، ونزلت بجيوشها في ليبيا أخر معقل للخلافة العثمانية في المغرب العربي حيث برز الثعالبي كقائد شعبي التف حوله الجماهير فقد سخر طاقاته من قلم ولسان للدفاع ضد الغزو الاستعماري وشد أزر المقاومة وتعاون مع القادة الأتراك في تنظيم بديع وتوزيع محكم للمسؤوليات. (محفوظ، 1994، صفحة 215)

ونظم في إطار " حركة الشباب التونسي" حملة واسعة لجمع التبرعات لصالح الهلال الأحمر العثماني وإعانة بعض الضباط الأتراك والمتطوعين التونسيين على الالتحاق بجبهة القتال وتمكينهم من بعض العتاد الحربي. (خليفة، 2005، صفحة 76)

وكان الشيخ عبد العزيز الثعالبي يرى أن الجامعة الإسلامية ضرورة لا مندوحة عنها من شأنها أن تأخذ بيد الأمم المستضعفة وكذا الإرهاق الآتي من الدول القوية المتسلطة وأكد أن العالم الإسلامي

ليس عدوا لأحد ولا لدولة من الدول ولا حتى لأوربا الغاشمة وأن الغاية الكبرى من الجامعة الإسلامية هي تحرير الأقطار الإسلامية من ربقة السيطرة الأجنبية والحكم الغريب وجعل أهالي هذه الأقطار يعيشون وادعين في أوطانهم متضامنين مع سائر العالم مادين يد العون إلى غيرهم من الشعوب الشرقية المرهقة. (الجربي، 1987، صفحة 175)

كما أن الشيخ الثعالبي يرى في بداية نشاطه السياسي أن الأستانة كعاصمة أم هي مركز الخلافة الإسلامية التي يدور في فلكها المسلمون ويرنون إليها باعتبار أن الدولة العثمانية هي صاحبة الخلافة في الأمم الإسلامية منذ أحقاب عديدة وأجيال مديدة رفعت للدين منارا وللجامعة عزا وفخارا. (مسعودة، 1995، صفحة 96)

وما يمكن أن نستدل به أيضا على ما قام به من مجهودات فيما يتعلق بالجامعة الاسلامية فاتحة جريدة " الإتحاد الإسلامي عند صدور عددها الأول في 19 أكتوبر 1911 م للتعريف بالخلافة الكبرى وللدفاع عن الجامعة الاسلامية في قوله : « إن الجامعة الاسلامية هي بخلاف ما يتوهمه بعض قصار النظر من الأوربيين الذين يذهبون فيها مذاهب الخياليين بدعوى أن قوامها مناهضة للمسيحية ونشر الدعوة الاسلامية بالتبشير وغيرها مما يصنعه مسيحيو أوربا. بل هي رابطة دينية تجمع قلوب المسلمين على قلب رجل واحد ذلك الذي تتوحد فيه المحبة والعواطف والأميال... » (خالد، 2001، صفحة 50)

ب- القومية العربية في فكر الشيخ عبد العزيز الثعالبي:

بعد إلغاء الخلافة وخروج آخر الخلفاء العثمانيين عبد المجيد الثاني إلى سويسرا وإعلان سقوط الخلافة في 03مارس 1924م (الصلابي، 2001، صفحة 472) نفض الشيخ عبد العزيز الثعالبي يده من الأتراك وبدأ توجهه العروبي يزداد مع الأيام إلى أن بلغ ذروته خلال الحرب العالمية الثانية بداية من 1939م إلى غاية وفاته سنة 1944 م. (خالد، 2001، صفحة 51)

حيث انظم إلى القوميين العرب يساند حركتهم ويقف إلى جانبهم في الانتصار للعروبة مما جعل عنصر الشعور القومي في كتاباته وأحاديثه وتصريحاته يبدو قويا واضحا حيث أصبح ينادي بضرورة إحياء العرب والنهوض بهم وإنقاذهم من النل الذي جعلهم في أخريات أمم الشرق نهضة وحضارة وثقافة بعد أن كان غير موافق للقائلين أن الشرق لا ينهض إلا بنهوض العرب لأنه كان مؤمنا أن الشرق منذ كان لم يتوقف نهوضه على نهضة العرب بل هو ينهض بنفسه في تركيا وفي اليابان وفي الصين وفي أفغانستان وفي إيران وفي غيرها... (الجربي، 1987، صفحة 197)

ومما كتبه الشيخ عبد العزيز الثعالبي عن توجهه القومي العربي مقالا في جريدة الإرادة بعنوان « الوحدة العربية في طور التحقيق »(الخرفي، 1995، الصفحات 106-109)

ففي هذا المقال وجه الثعالبي أصابع الاتهام إلى الأتراك لتعاقدهم مع الدول المنتدبة على البلاد العربية لإعاقتها عن السير نحو التقدم كما اعتبر أن العرب ضحية الترك قبل أن يصيروا ضحية لأوربا، وبين أن العرب قد قبلوا بالحكم التركي تفاديا لحدوث انقسام جنسي للإسلام وذلك بقوله : « لقد حدثت في غضون الماضي فلتات كانت لها عواقب وخيمة وهي تغلب الترك على مقاليد السياسة الاسلامية باسم الاسلام الذي قوض بناء الجنسيات ولم يقم وزنا للعنصريات فأساء الاتراك استعمالها كما أساءوا للعرب وأبعدوهم عن مقاليد الأحكام وأوهنوا بلادهم بالتجزئة والتفريق فتهاون العرب بذلك وأسلموا لهم قيادهم تفاديا من حدوث انقسام جنسي في الإسلام وركنوا لهم عن طواعية لا عن استخذاء ولكن الأتراك لم يقدروا لهم هذه اليد البيضاء بل أفحشوا في توهينهم لقاء غائلة الأعداء عن بلاد الإسلام...فالعرب إذن كانوا ضحية الترك قديما وحديثا قبل أن يصيروا ضحية لأوربا ويظهر أن الترك مازالوا يتابعون خططهم الجهنمية في تقويض كيان العرب حتى بعد انفصالهم ووقوفهم وجها لوجه أمام أوربا بدل أن يساعدوهم ويتعاونوا معهم على إعلاء شأن الشرق... ولا شك أن العرب قد أفاقوا من غشيتهم التي أعقبت الحرب العظمى وإن لم تكن هذه الإفاقة متساوية في جميع الأقطار لكنها ذات مغزى عميق في تقدير مصائر الأمور ولن نكون مجازفين إذا قلنا أن الأمة العربية آخذة في الاستعداد للقيام بدورها التمديني الذي تخلت عنه بضعة قرون تحت تأثير نظرة خاطئة كانت وبالا عليها... . » . (خالد، 2001، صفحة 52)

إضافة إلى مقالات أخرى تعكس هذا التوجه منها:

- ألم يأن للعبث الاستعماري أن ينتهي في الشرق.
- أمراض العالم العربي كيف نشأت؟ وماهي وسائل الاصلاح؟.

ويرى الثعالبي أن الوحدة القومية للأمة العربية ذات وحدة عنصرية قوية قائمة على اللغة والدين والتاريخ والمصالح المشتركة يضاف إلى ذلك عنصر حديث من عناصر التكوين الاجتماعي وهو عنصر التنمر والكراهية لطغيان الاستعمار. (الجندي، 1984، صفحة 55)

كما أكد الثعالبي على أن كل عربي يشغل فراغا في محيط هذا الأمة أن يشعر بالمنزلة العظيمة التي لأمته في هذا العالم وأن يتنبه للمكائد التي تدبر لها هنا وهناك لإعاقتها عن السير في الحياة وتجزئة أقطارها وصرفها عن إدراك حقوقها الطبيعية التي تميزها بين الأمم وأن ينظر إلى حالتها الحاضرة نظرة تشاؤم مع بذل الجهد في استئلاف النفوس للتخلص منها والعمل على توثيق حاضر الأمة بماضيها. (الخرفي، 1995، صفحة 86)

وقد كتب الشيخ عدة مقالات لنهضة العرب القومية تعكس هذا التوجه عنده منها على سبيل المثال لا الحصر مقال "نهضة العرب ضرورية لسلامة العالم وإنقاذه من مشاكله" حيث استعرض فيه مقومات الأمة العربية وقد نشر هذا المقال في مجلة الرابطة العربية (المصرية) عددها 08 جويلية

1937م، ومقال "أمراض العالم العربي. كيف نشأت؟ وما هي وسائل الإصلاح ورد الشيخ الثعالبي على مندوب الرابطة العربية حول فكرتها في مشروع "الإمبراطورية العربية التي نبشر بها" حيث ركز فيه عن المدخل الثقافي التربوي لمشروع الوحدة العربية وصولا إلى إنشاء جامعة الدول العربية. (الخرفي، 1995، صفحة 93).

ومن الجدير بالذكر في هذا الموضوع الحديث عن شخصية أمير البيان شكيب أرسلان بخصوص الجامعة الاسلامية التي ضل وفيا لها في أحلك الظروف التي مرت بها الأمة العربية والإسلامية فقد نشر بيان 1913م بعنوان"إلى العرب. بيان الأمة العربية عن حزب اللامركزية " ندد فيه بالعصبية الجنسية التي يحاول البعض إثارتها داعيا إلى إلتفاف المسلمين حول الدولة العثمانية ضد الحركة القومية ذات الطابع الانفصالي الاستقلالي. (دراوي، (2007-2008)، صفحة 47)

أما ما يتعلق بالمغرب العربي فقد كانت له مساهمة بالغة الأهمية في جريدته التي فضح فيها جرائم الفاشيين الايطاليين كما شارك بنفسه في الجهاد ضدهم ويقول في هذا الصدد : « ...وقد أشرنا إليه وإلى سائر فضائع إيطاليا بطرابس في مجلتنا العربية المنهج الإفرنسية الملهج المسماة "la nation arabe" ونزيد على ذلك قولا نقوله عن علم وعن خبرة وهو أننا في أوائل غارة إيطاليا على طرابلس ذهبنا بنفسنا ومعنا بعض من أتباعنا وجاهدنا مدة ثمانية أشهر في درنة وبني غازي ...». (لوثروب ستودارد، 1973، صفحة 68).

وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914م بين الحلفاء ودول المحور أصبح من أكبر أعوان الاتصال بين العثمانيين والألمان واكتسب بذلك صداقة غليوم الثاني قيصر ألمانيا ، وكان يعتقد أن سياسة ألمانيا نزيهة تجاه العالم الإسلامي وانتصارها هو انتصار للجامعة الاسلامية. (دراوي، (2007-2008)، صفحة 48)

وبعد انهزام دول المحور وتغير موازين القوى لصالح الحلفاء وإدراكا منه للتحولات الكبرى التي طرأت حيث أسقطت الخلافة وتحول الدولة العثمانية إلى الجمهورية التركية أصبح الاستمرار في التشبث بمؤسسة انتهت واقعا أمر غير مبرر فولى وجهه شطر القومية العربية في إطارها الاسلامي معلنا تأييده للهاشميين وللأمير فيصل بن الحسين منذ سنة 1925م. (دراوي، (2007-2008)، صفحة 49)

ونظرا لأهمية إفريقيا الشمالية عند شكيب أرسلان نجد أن له دورا كبيرا في ربط صلات وثيقة بين شخصيات وطنية مغاربية فمجرد تعيينه على رأس وفد اللجنة السورية- الفلسطينية التي تألفت بالقاهرة سنة 1921م أخذ يجري اتصالات ومراسلات ففي تونس مثلا كانت له صلات متينة مع زعماء الحركة الدستورية الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي كان يرى فيه زعيما للحركة الإسلامية في إفريقيا الشمالية، وفي الجزائر كان تأثيره خاصة على مصالي الحاج رئيس نجم شمال إفريقيا منذ 1927م

ولازمه مدة نفيه في جنيف، كما عمل على إبعاده عن الحزب الشيوعي وتوجيهه لمقاومة مشروع بلوم-فيوليت كما قام بتقريب الشقة بين النجم وجمعية العلماء المسلمين،أما المغرب الأقصى فقد كان له دور في الإيعاز بالحملة ضد الظهير البربري في 16ماي 1930م الذي أراد المستعمر الفرنسي من خلاله التفريق بين مكونات الشعب المغربي ، فقد ذهب إذ ذاك على طنجة فطرد منها ثم إلى تطوان عند الحاج عبد السلام بنونة وأصبح مرشد أعضاء كتلة العمل المغربية. (جوليان، 1976، الصفحات 33-34)

كما كان حريصا على نشر أفكاره حتى بين المسلمين المقيمين في أوربا من أجل زرع نواة سياسية يناهض بها الاستعمار في البلاد الاسلامية بهدف خلق جيل وطني يجني ثمار الاستقلال ومن بين هؤلاء الطلبة المغاربة في باريس حيث يرى فيهم القدرة على فهم طبيعة الغرب وشعوبه لأنهم عاشوا ودرسوا في الجامعات والمدارس الأوربية مع احتفاظهم بالهوية الاسلامية من جانب آخر ومن بين هؤلاء الطلاب من تخرج من المدارس الحرة بالمغرب أمثال أحمد بن محمد الفاسي (1909- 1919)م وأحمد بلافريج(1908-1990)م ومحمد حسن الوزاني(1910- 1978)م وكان هؤلاء من منظمي جمعية طلاب شمال إفريقيا. (رياض، 2015، صفحة 23)

الخاتمة:

وفي الأخير نخلص إلى القول أنّ النّخب الإصلاحية في المغرب العربي عموما قد جمعت بين القومية العربية والإسلام في مختلف أطوار نشأتها فالفكرة القومية فيها لم تُعرف كامتداد لحركات القومية السّريّة أو العلنية في المشرق العربي لارتباطها بالجمعيات التّبشيرية المسيحية ودورها في تقويض حركة الجامعة الإسلامية، كما أنّ المغرب العربي لم يعرف الأقليات والطّوائف الدّينية والمذهبية وما تبعه من امتيازات على النّحو الموجود في المشرق العربي، كما أنّ المنافذ التي وصلت عن طريقها أفكار الجامعة الإسلامية والفكرة القومية تتمثّل في الصّحف والمجلاّت والرّحلات العلمية لشخصيات سواء من المشرق إلى المغرب أو العكس فكان تأثيرها كبيرا على الحياة في المغرب العربي كما أنّ المجال السّياسي والثّقافي النّشيط خاصّة في مصر كان له تأثير على مجريات الأحداث في ما تعلق بفكر الجامعة الإسلامية والفكر القومي العربي.

المراجع:

1. «الخلافة أم جماعة المسلمين». (ربيع الأول /ماي, 1357هـ/1938م). *الشهاب*، الصفحات 61-63.
2. إبن باديس, عبد الحميد. (ذي القعدة/جانفي, 1356هـ/1938م). الوحدة العربية. *الشهاب*، صفحة 472.
3. أبو الفتوح رضوان. (1969). *القومية العربية*. القاهرة، مصر: مطبعة جامعة القاهرة.

4. أبو القاسم سعدالله. (2009). الحركة الوطنية الجزائرية. الجزائر: دار البصائر.

5. أحمد بن نعمان. (جويلية, 2010). «إبن باديس والمغالطة العرقية في القومية ». مجلة الوعي.

6. أحمد خالد. (2001). الـزعيم الشيخ عبد العزيز الثعالبي وأشكالية فكره السياسي، بحث في فلسفته السياسية وصلتها بنضاله وأدبه ورحلاته مشفوع بوثائق ومنتخبات. تونس: الدار العربية للكتاب.

7. إسماعيل أحمد ياغي. (1998). الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث (المجلد ط2). الرياض: مكتبة العبيكان.

8. الحكم دروزة،حامد الجبوري. (1993). «القومية العربية» ،سلسلة التراث القومي، قراءات في الفكرالقومي الكتاب الأول القومية العربية: فكرتها ومقوماتها (المجلد ط1). بيروت،لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

9. المنصف الشنوفي. (1966). «مصادر عن رحلتي الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده إلى تونس»، حوليات الجامعة التونسية. تونس: الجامعة التونسية.

10. امحمد دراوي. ((2007-2008)). الجزائروالجامعة الإسلامية(1914-1976)م (مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر). بوزريعة، الجزائر، الجزائر.

11. أنور الجندي. (1984). عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية (المجلد ط1). بيروت،لبنان: دار الغرب الإسلامي.

12. جلول الجريبي. (1987). أسس النهضة عند عبد العزيز الثعالب» (رسالة دكتوراه دولة مرقونة). تونس، معهدأصول الدين، تونس: جامعة الزيتونة.

13. خالد بن إبراهيم بن عبد الله الدبيان. (1419هـ). الجمعيات القومية العربية وموقفها من الاسلام والمسلمين في القرن الرابع عشر الهجري. مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى،كلية الدعوة وأصول الدين،قسم العقيدة.

14. شارل أندري جوليان. (1976). إفريقيا الشمالية تسير. (سليم وآخرون المنجي، المترجمون) تونس: الدار التونسية للنشر.

15. شاطر خليفة. (2005). تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الإستقلال. تونس: مركز الدراسات في البحوث الإقتصاديةوالإجتماية.

16. شفيق حجا. (2004). الحركة العربية السرية جماعة الكتاب الأحمر(1935-1945) (المجلد ط1). بيروت،لبنان: دار الفرات.

17. صالح الخرفي. (1995). *عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب*. بيروت،لبنان: دار الغرب الإسلامي.

18. عبد الحميد إبن باديس. (ذي الحجة/فيفري, 1355هـ/1937م). «الجنسية القومية والجنسية السياسية». *الشهاب، ج12،م12*، الصفحات 504-506.

19. عبد الحميد إبن باديس. (ذي القعدة/جانفي, 1356هـ/1938م). «الوحدة العربية». *الشهاب، ج12،م13*، صفحة 472.

20. عبد الحميد إبن باديس. (ربيع الاول/ماي, 1357هـ/1938م). «الخلافة أم جماعة المسلمين». *الشهاب، ج2،م14*، الصفحات 61-63.

21. عبد الحميد إبن باديس. (رمضان/نوفمبر, 1357هـ/1938م). «مصطفى كمال رحمه الله». *الشهاب، ج9،م14*، الصفحات 130-134.

22. عبد الحميد العويسي. (1985). *أثر دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الاسلامي الإصلاحي بالجزائر*. القاهرة: دار الصحوةللنشر.

23. عبد الرحمن البزاز. (1962). *بحوث في القومية العربية*. القاهرة،مصر: معهد الدراسات العربية العالية،جامعة الدول العربية.

24. عبد الرحمن بن أبراهيم بن العقون. (1984). *الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر - الفترة الأولى 1920-1936*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

25. عبد القادر فضيل،محمد الصالح رمضان. (1998). *إمام الجزائر عبدالحميد بن باديس* (المجلد ط1). برج الكيفان،الجزائر: شركة دار الأمل للطباة والنشروالتوزيع.

26. عبد الوهاب الكيالي. (بلا تاريخ). *موسوعة السياسة* (المجلد ج2،ط6). بيروت،لبنان: المؤسسة العربيةللدراسات الشرقية،دار الهدى.

27. عدنان محمد زرزور. (1999). *جذور الفكر القومي والعلماني* (المجلد ط3). بيروت،لبنان: المكتب الإسلامي.

28. علي محمد الصلابي. (2001). *الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط* (المجلد ط1). دار التوزيع والنشر الإسلامية.

29. عمار طالبي. (1997). *آثار إبن باديس* (المجلد ج2،م2،ط3). باب عزون،الجزائر: الشركة الجزائرية.

30. عمر رياض. (2015). *مراسلات الامير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود*. القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية.

31. فدوى أحمد محمود نصيرات. (بلا تاريخ). *المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام ومصر(1840-1918)م (أطروحة دكتوراة مطبوعة)*. مركز دراسات الوحدة العربية.

32. لوثروب ستودارد. (1973). *حاضر العالم الاسلامي،مج1،ج2*. (المجلد ط4). (عجاج نويهض، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الفكرللطباعة والنشر والتوزيع.

33. محمد الفاضل إبن عاشور. (1961). *أركان النهضة الأدبية بتونس*. تونس: مكتبة النجاح.

34. محمد عبدالله عودة،إبراهيم ياسين الخطيب. (1989). *تاريخ العرب الحديث*. عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.

35. محمد عمارة. (1981). القومية العربية والاسلام. *ط1*. بيروت: مركزدراسلت الوحدة العربية.

36. محمد عمارة. (1994). *الجامعة الإسلامية والفكرة القومية*. بيروت: دار الشرق.

37. محمد محفوظ. (1994). *تراجم المؤلفين التونسيين* (المجلد ج1،ط2). بيروت،لبنان: دار الغرب الإسلامي.

38. مراد, علي. (2007). *الحركة الاصلاحية في الجزائر بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من1925إلى1940* (المجلد طبعة خاصة وزارة المجاهدين). (محمد يحياتن، المترجمون) الجزائر.

39. مسعود بو الخضرة مسعودة. (1995). عبد العزيز الثعالبي ودوره في الإصلاح الإسلامي (رسالةماجستيرمطبوعة). صيدا:بيروت،لبنان: المكتبة العصرية.

40. موفق بني المرجة. (1984). *صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة والإسلامية*. الكويت: مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشروالتوزيع والاعلان، دار الكويت للصحافة والأنباء.

41. نازلي معوض أحمد. (1986). *التعريب والقومية العربية*. بيروت،لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.